سينما

يوميات سينمائية في بيروت

أتُصنَع أفلامٌ من مهانات وتناقضات؟

يزداد الوضع اللبناني خراباً وسوءاً، وتناقضات جمّة تُصيب كثيرين بإحباط وقلق، والسينما حاضرةٌ وإنْ بعد حين، وبعضها يُراقب ويتأمّل

نديم جرجوره

تزداد المشاهد اليومية في لبنان خطورةً وقهراً وخراباً. كلّ كلام يصفها، مُكرّرٌ إلى حدّ الملل. أخبارٌ تُروى عن أحداثٍ تحصل، هنا وهناك، تبثّ صوراً قاهرة وقاسية عن بلدٍ منهار، وأناسٍ مصلوبين على المهانة. المأزق أنّ أناساً كثيرين يعيشون هذا كلّه بصمتٍ وفراغ. يرتضون كلّ حلّ يُقدَّم إليهم، وإنْ كان مُؤقّتاً، أو مُنبثقاً من مصلحةِ مسؤولٍ أو أكثر، عشية بدء التحضيرات لانتخاباتٍ نيابية ورئاسية، جديدة، عام 2022.

المَشاهِد مُثيرةٌ لتوتّر وخوف. بعضها يتمثّل باستعادة «مانشيتات» صحفٍ لبنانية، صادرة قبل 30 أو 40 عاماً، تقول وقائع تبدو راهنةً، لعدم اختلافها البتّة عن ماضٍ توثّقه تلك الـ«مانشيتات» وتقاريرها وصُوَرها الفوتوغرافية: تعطيلُ تأليف حكومة. انقطاع كهرباء وماء. طوابير أمام أفرانٍ ومحطات بنزين. تهاوي الليرة اللبنانية أمام الدولار الأميركي. إلخ. لا شيء مُتغيّر، باستثناء أسماء مسؤولين، وتقنية التصوير الفوتوغرافي، وتحوّل الصورة إلى تسجيل، تبثّه وسائل التواصل الاجتماعي. الماضي حاضرٌ، والحاضر لن يؤسّس مُستقبلاً، لأنّه سيكون مُجرّد امتدادٍ لحاضرٍ، هو الماضي.

بعض الماضي مرتبطٌ بحربٍ أهلية. أخبارٌ وصُورٌ مستعادة من تلك الفترة (1975 . 1990)، فيقول البعض إنّ تلك الفترة، رغم الدم والعنف والتهجير والقتل، أفضل من الراهن، فالمال وفيرٌ، رغم انقطاع مواد لمأكل ومشرب وطبابة، إذ تؤمّن هذه كلّها سريعاً. أخبارٌ وصُورٌ عائدةٌ إلى ما قبل اندلاع الحرب، تبدو كأنّها مأخوذة «الآن هنا».

يوميات بيروتية كافية لتبيان حجم الهزيمة والبؤس والإنكار. نجاحُ متواضع في نقابةٍ (فوز لائحة «النقابة تنتفض» على لائحة تحالف السلطة الحاكمة، في انتخابات نقابة المهندسين، في 27 يونيو/ حزيران 2021) غير مؤثّر في المشهد العام، رغم أنّ الفوزَ أحدُ الردود القليلة جداً على بطش السلطة، وإصرارها على تحطيم الناس (الأهمّ يتمثّل بسلوك اللبنانيين واللبنانيات في الانتخابات النيابية المقبلة، المزمع إجراؤها في مايو/ أيار 2022، إزاء أقطاب السلطة وأمراء الحرب والطوائف، بعد المهانة الكبيرة التي يُنزلها هؤلاء بهم وبهنّ، يومياً، منذ سنين). نجاحٌ كهذا تلحق به أخبارٌ، أو تسبقه، وبعض الأخبار يتكرّر حدوثه في أحوالٍ كتلك، لكنّه يتّخذ شكلاً آخر في بلدٍ معطوبٍ بناسه أولاً: امرأة حامل تولّد جنينها على سُلّم المبنى الذي تُقيم فيه مع زوجها، لعجزٍ عن بلوغ المستشفى في الوقت الملائم، فالكهرباء مقطوعة، وصاحب المولّد الكهربائي غائبٌ عن السمع، في الثانية بعد منتصف الليل، والزوج غير قادرٍ على حملها إلى هناك. شبانٌ، لعلّهم مُسيَّرون لا مُخيّرون، يقطعون طريقاً في إحدى مناطق بيروت، احتجاجاً على شقاءٍ مُقيمين فيه، وأفرادٌ يحتفلون، رقصاً وموسيقى وغناءً، بافتتاح محلّ جديد، على بُعد خطواتٍ قليلة منهم. جرّاح يُجري عملية في مشفى بيروتي، وفجأة تُقطع الكهرباء، فيُكمِل العملية على ضوء الشموع، لأنّ شركة الكهرباء «ترفض» إعادتها، ولو لوقتٍ يكفي لإنهاء العملية، والمولّد متوقّف عن العمل لنقص في المازوت.

> الماضي حاضر والحاضر لن يؤسّس مستقبلاً لأنه امتداد للماضي

أخبارٌ قليلةٌ تقول شيئاً كبيراً عن بلدٍ وناسه. الجهات المعنية بالشؤون الطبيعية للناس مستمرّة في تثبيت سلطتها على حساب الناس والدولة، إنْ كانت هناك دولة، بالمفهوم العلمي، أساساً. أخبارٌ تتدفّق على شبكات التواصل الاجتماعي، تغلب عليها آلام وخيبات وانكسارات.

كلّ شيءٍ مُعطّل. كلّ شيءٍ يؤكّد، يوماً تلو آخر، أنّ لا قعر للهاوية. الانهيار يُصيب حاجات ضرورية للناس، غير موجودة في السوق، إمّا لأنّ هناك من يُخفيها، بانتظار وقتٍ ملائم لكسب أرباح إضافية، عند رفع أسعارها قريباً، وإمّا لأنّ دعم «مصرف لبنان» لها ينعدم لحظةً بعد لحظة. رغم هذا، هناك من يتمتّع، بنزقٍ وتشاوف، مع رفاق له، في مسبحٍ، «مُعلّق» في فضاء طابق أخير من مبنىً فخم، يُطلّ على مرفأ بيروت، وعلى البحر خلفه، أما ما فيه من موتٍ وتزوير ومنع لإحلال عدالة مستحقّة، ومن قتل دائمٍ للضحايا ولذويهم، فيبقى خارج الكادر.

أخبارٌ يُفترض بها أنْ توثّق، مع أنّ أهوالاً تكاد تمنع البعض من الاشتغال على جانبٍ مهمّ من يومياتٍ كهذه. رغم هذا، تُصدِر «مبادرة العدالة الاقتصادية والاجتماعية (معاً)»، قبل أيام، كتاب «بيروت 6:07: رماد حيّ»، الذي يوثّق قصص ضحايا كارثة انفجار مرفأ المدينة (4 أغسطس/ آب 2020)، بألسنةِ أهل وأقارب. توثيقٌ يستعيد كلّ حكاية، وكلّ انفعال، وكلّ حالةٍ، وكلّ ضحية، باستثناء قلّة قليلة، يقول صانعو الكتاب إنّ الأهل غير مستعدّين لهذا «الآن»، فتُخصّص لهم صفحات بيضاء، لعلّهم يروون الحكايات «لاحقاً». جهدٌ يليق بوجع، يُفترض به أنْ يبقى ساطعاً، كالأوجاعِ الأخرى، فهذه أداة يجب أنْ تحرِّض على مواجهةٍ دائمة لسلطةٍ تنهب وتُعلن، بتشاوفٍ وكبرياء، أنّها الناهبة والفاسدة والقاتلة، والقتل مُتنوّع الوسائل.

أخبارٌ تصلح لألف فيلم وصورة ونصّ. الكتابة أسرع. التصوير أصدق. السينما أفعل. حكايات الموت اللبناني كثيرة. التناقضات أكثر في بنيانٍ يتهاوى سريعاً. فهل تلتقط السينما البنيان في تهاويه؟ بعض السينما حاضرٌ وفاعلٌ. بعضٌ آخر مُراقِب ومتأمّل. الحاجة إلى خلاص في أحوال العيش أكثر إلحاحاً. لكن السقوط عظيمٌ، والعدسة يجب أنْ تحضر في كلّ لحظة.

أمّا التأمّل، فمعنيٌّ بحكاية بلدٍ، كلّما تنجح سينماه في ابتكار أشكالٍ عدّة لمعجزة الحياة، يذهب إلى جحيمه، جارفاً الجميع معه.

بياضٌ في آخر نفق بيروتي: هذا ليس خلاصاً، بل ضوء نهارٍ جافّ (حسام شبارو/ الأناضول/ Getty)

«حصى» و«أغنيات للمطر»

سينما هندية حداثوية تورِّط مُشاهِدها

فيس قاسم

يبوح عنوان الفيلم الهندي «أغنيات للمطر» (2021)، برجاءِ بشرٍ للسماء، كي تُنزل على ربوعهم ماءً. في عنوان «حصى» (2021)، الفائز بجائزة النمر الكبرى في الدورة الـ50 لـ«مهرجان روتردام السينمائي الدولي»، المُقامة افتراضياً بين الأول والسابع من فبراير/ شباط 2021، دلالة ضمنية على حالة قسوة وتَيبس، تُشبه تلك التي يخلّفها الجفاف في الأرض.

يعقد المنجزان الهنديان مقاربة سينمائية، تؤطّرها من الخارج فكرة الجفاف وشحّ المطر؛ وفي عمقها، تترابط خيوط حكايات تغذّي تصوّراً مُتجذّراً عن فقر الهنود وصراعاتهم مع الطبيعة، ومع أنفسهم.

منذ ظهور السينما الهندية، يتكرّر سرد ظاهرتي الفقر والجوع مراراً، وتتعدّد أشكال معالجتهما، وتختلف أساليب الاشتغال السينمائي عليهما، لتُفرز مع الوقت تيارات واتجاهات جديدة. الفيلمان يُشيران إلى جوانب منهما، ويشيان برغبة سينمائيَّين شابين في تجاوز المراكز السينمائية التقليدية، والابتعاد عنها إلى الأقاليم البعيدة والقصيّة في شبه القارة الهندية.

في روائيّه «حصى» (كتابةً وإخراجاً)، يُقدّم التاميليّ فينوتراج بي. سي تجربة سينمائية حداثوية، هاجسها الصورة وجمالها. أما الحكاية، فتظلّ هامشاً فيها، أو ربما مجرّد ذريعة، يُبرّر بها اشتغاله السينمائي، الطافح بالجمال والسحر، الذي يجعلُ مُنجزَه تحفةً بصرية، تُنسي المُشاهِد أهمية التتابع الزمني لأحداثه، وتُقنعه بقبول تدويرها. عندها، يفقد الشرطُ التقليدي للسرد ضرورةَ وجوده، ويضحي التمتّع والتمعّن في الجميل الذي فيه كافياً له.

> خيوط حكايات تغذّي تصوّراً مُتجذّراً عن فقر الهنود

الميل إلى هذا النوع من الاشتغال، يحضر عند ابن إقليم أسام، كريشنا كي تي. بورا، أيضاً، الذي يمنح للكاميرا (تصوير أونوش أوليفرا)، في روائيّه «أغنيات للمطر»، وقتاً طويلاً لنقل مَشاهد من الطبيعة القاسية المحيطة بالقرية، مُضيفاً إليها موسيقى تصويرية (فيفك براداران)، تُضاعِف شدّة الإحساس بخوائها وتصحّرها. حكايته لا تأخذ المُشاهِد إلى دروب التراجيديا الهندية، لكنّها تحتفظ بجزءٍ صغير من ميلودراميّتها، مشحونةً . طيلة الوقت . بتعابير درامية مؤثّرة، كلّما تحاول الذهاب إلى جذرها التقليدي القديم. أوقفها بورا وأعادها إلى مسارها الحداثوي الجديد، المتوافق مع رؤيته الشبابية للصنعة السينمائية. الكاميرا، لا الحكاية، نواتها، والحكاية نفسها يُمكن كتابتها بأنساقِ سردٍ مُفكّك. الصورة قادرة على لملمته، وعلى جعله كُلاً مُتجانساً.

في النصّين، الجمال طاغٍ. يُلازمه وجع وأسى على خسارات عيشٍ شحيح في قرى، يتصارع أهلها . مع أنفسهم ومع الطبيعة . جرّاءها. لم تستجب الآلهة، في «أغنيات للمطر»، لتوسّلات أهل القرية. لم تنفع أدعيتهم وطقوسهم الدينية في رفع منسوب مياه نهرهم الوحيد. لم يعد في نهر قرية الصيادين ما يعتاشون عليه. تطلّ، من وسط ذلك المشهد المُتصحّر، مسرّات صغيرة تُشيّعها حميمية علاقة خطيبين صغيرين، يُسمّيهما أهل القرية، تحبّباً، «بينغي» (مايتري داس)، و«بينغا» (أداء رائع لديب جيوتي كاليتا).

من «حصى» لفينوتراج بي. سي: هاجس الصورة وجمالها (الملف الصحافي)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ Awake لمارك راسو، تمثيل جينا رودريغز (الصورة) وآريانا غرينبلات ولوسيوس هويوس: تحصل هستيريا جماعية، في دول كثيرة في العالم، جرّاء كارثة غامضة تضرب الأجهزة الإلكترونية، وتسلب البشرية قدرتها على النوم. يجهد العلماء، في سباق مع الزمن، في العثور على علاجٍ لهذا الأرق غير المُبرَّر، قبل أنْ تقضي آثاره القاتلة على الجنس البشري.

■ Good On Paper لكيمّي غايتوود، تمثيل ريبيكا ريتّنهاوس (الصورة) وإليزا شُلسينغر وراين هانسن ومارغريت تشو: تشارك أندريا (34 عاماً)، الممثلة الكوميدية، في تجربة أداء لفيلم، من دون أنْ تحصل عليه. في طائرةِ العودة إلى بلدتها، تلتقي دينيس، الجالس قربها، ويرافقها في رحلة جديدة من حياتها، مساعداً إياها في الاختبارات التمثيلية اللاحقة. يتسكّع معها، فيُصبحان صديقين. لكن لدينيس ماضٍ غير معروف، هو المتخرّج من جامعة «ييل»، والباحث عن منزلٍ في بيفرلي هيلز، وله علاقة غامضة بعارضة أزياء.

■ The Map Of Tiny Perfect Things لأيان صامويلز، تمثيل كاترين نيوتن (الصورة) وكيل آلن: يبدو أن المراهق مارك، سريع البديهة والذكي جداً، مُصابٌ بعطبٍ خارجٍ عن المنطق: إنّه يعيش في يومٍ واحدٍ، يتكرّر عليه يوماً تلو آخر. أي أنّه عالقٌ فيه. ذات مرّة، يلتقي مارغريت الغامضة، فتنقلب حياته كلّياً، بعد معرفته بأنّها واقعةٌ، هي أيضاً، في المأزق نفسه. معاً، يعملان بجهدٍ للخروج من هذه المصيبة.

■ SAS: Red Notice لماغنوس مارتنس، تمثيل هانّا جون . كامن (الصورة) وسام هوغان وروبي روز وآندي سِرْكِس: في إطارٍ يجمع التشويق بمسائل أمنية وإرهابية وعنفية، يروي الفيلم حكاية عميل تابع للقوات الخاصّة، يجد نفسه في مهمّة صعبة للغاية، تتمثّل بمواجهته جيشاً من المرتزقة، مستعدٍّ لتفجير النفق المائي في بحر الـ«مانش»، وقتل كلّ العابرين فيه. مغامرة مشوّقة، مستلّة من رواية بالعنوان نفسه للبريطاني آندي ماك ناب، العسكري السابق والروائي الحالي.

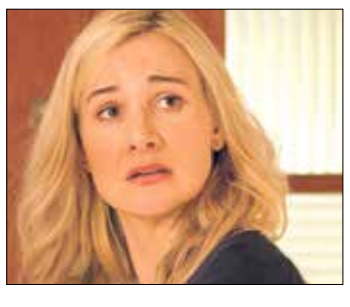

■ I Am All Girls لدونوفان مارش، تمثيل ايريكا وسّل (الصورة) ولِشِغو مولوكْواين وبراندن دانيالز: أثناء اشتغاله أعواماً عدّة في مكتب التحقيقات، يعثر المُحقّق الشاب على أرضيةٍ مشتركة بين هجمات قاتلة وعصابة تعمل في تجارة الأطفال. التأثيرات النفسية تتساوى وقسوة التحقيقات والمطاردات.